

الافتراضات الأساسية الفصل السابع:

ملف الاضطرابات الجامعة (9)

"الوقت" و"الزمان": في الوعي الشعبي

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD221115.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/11/22
السنة التاسعة - العدد: 3005



أن علاقتنا بالوقت أصبحت
شديدة الرخاوة واللامية، أما
علاقتنا بالزمن و(الزمان) فقد
اُختزلت إلى تبرير السلبية،
وإسقاط خيبتنا عليه

مقدمة:

إذا انتقلنا إلى الوعي الشعبي : فكيف يا ترى يتعامل الوعي الشعبي الجمعي مع الوقت؟ ومع الزمن؟ (والزمان)؟ انطلقا من ثقافتنا الشعبية خاصة.
الأرجح أن الوعي الشعبي (واللاوعي الشعبي أيضا) يتعامل مع الزمن أساسا، ومع الوقت أيضا ممثلا للزمن غالبا (وليس دائما)، هو "يعيش الزمن"، و"يتكلم عن الوقت"، وهو منتبه تماما، وناقد غالبا لضعف وخلخلة علاقتنا بمرور الوقت، كما أنه يُجَلِّ لفظ "الزمان" محل لفظ "الزمن" كمتراقات غالبا، وكثيرا ما يخص الزمان بما يقابل "القضاء" و"المكتوب" و"القدر".
وفيما يلي مقتطفات متفرقة تبين بعض ذلك، بما يتناسب مع نشرة متواضعة كمقدمة إرشادية وليست كبحث خاص، للتعرف على بعض جوانب ثقافتنا فيما يتعلق بهذا البعد المرتبط بها ارتباطا وثيقا: تاريخا وحاضرا.

دعونا نبدأ بموال جميل يقول:

عَبِتْ عَالِوَقْتِ قَالِي الْوَقْتِ: إِيه مَالِكْ

عمال بتبكي من الأيام، إيه مَالِكْ

اللي جراك يكون في الأصل إهمالك

.....

عتبت ع الوقت قال لي الوقت: ونأ مالي

أنا كل ما اعطيك تفضي الجيب، وأنا مالي [1]

إعمل لنفسك "قانون" وي بطل إهمالك

ثم نبدأ بقراءة الجزء الأول من هذا الموال، وهو الذي يقول (مرة أخرى):

هذا "الموال" لا ينبغي فقط
إلى قيمة "الاختبار"
فالمسئولية، فاللوم والتفريع
لمن أهمل أو تخلى عن
مسئوليته متهمًا الأيام
والزمن

عَتِبْتُ عَالِقَتِ قَالِي الْوَقْتِ: إِيهِ مَالِكُ

عمال بتبكي من الأيام، إيه مالكُ

اللى جراك يكون فى الأصل إهمالكُ

هذا الموال يعاتب الوقت، وبديهى أنه لا يعاتب الوقت الذى يمر بالساعة، وإنما هو كما ذكرنا فى المقدمة يجسّد الوقت فى الزمن والزمان مقتربا من القدر والأيام، ويحاوره فيتعيّن أماننا مائلا، وهذا غير دوران الساعة وتتالى الأيام، ويبدأ العتاب كالتالى:

يقوم الموال - من بُعدٍ معين - "بشد أذن" البنى آدم منا حتى لا يُمضى حياته نعبًا، مبررًا، معتمدًا، يشد أذنه ليذكره أنه "عيب عليه هذه النعابة !!". وأعتقد أننا أحوج ما نكون إلى هذا الموال هذه الأيام ولم يعد كافيًا أن ننتبه بقرص الأذن، وإنما نحن نحتاج لنتنبه إلى ما هو أكثر كثيرًا جدًّا، ذلك أن علاقتنا بالوقت أصبحت شديدة الرخاوة والهلامية، أما علاقتنا بالزمن و(الزمان) فقد اختزلت إلى تيرير السلبية، وإسقاط خيبتنا عليه.

هذا "الموال" لا يبنهنا فقط إلى قيمة "الاختيار" فالمسئولية، فاللوم والتفريع لمن أهمل أو تخلى عن مسئوليته متهمًا الأيام والزمن، ما وصلنى اليوم، بما يناسب أيامنا الصعبة الحالية، هو سوط من لهب وليس مجرد تهذيب على الأصابع بسن مسطرة، سوط جدير بأن يذكرنا بموقعنا من العمل، ومن الاستقلال، ومن الوقت، ومن المبادأة والمبادرة، مجموع كل هذا هو التنازل عن حقنا فى الحياة الكريمة، وهل هناك إهمال أكبر من ذلك؟ وهل آن الأوان أن نعترف به لنبدأ يقول الموال فى جزئه الثانى:

عَتِبْتُ ع الْوَقْتِ قَالَ لِي الْوَقْتِ: وَنَا مَالِي

أنا كل ما اعطيك تفضى الجيب، وأنا مالى [2]

هكذا ينتقل الموال إلى تفصيل بعد تعميم، فينتقى من "اللى جرى لك" هذا البعد الذى يشير إلى العلاقة بين الإهمال عامة، وبين التبذير، لمن يملك فرصة التبذير، أو دعونا نقول: يفتقر إلى حذق التخطيط بالنسبة للمسئوليات المادية والحياتية العادية، على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الدولة التى تواصل ترفيع اقتصادها بالديون طول الوقت مهما تغيرت النظم، هذا الجزء ينبه الفرد والجماعة إلى أن مواصلة الاعتماد على الدعم الخارجى (كل ما اعطيك) وإفناقه فى الاستهلاك، وليس فى الانتاج هو المصيبة الكبرى التى لا ينبغي أن نعزوها إلى الوقت (الزمن - الزمان - الظروف - الضغوط) فى المقام الأول طول الوقت، فيضيف هذا الجزء من الموال أيضا ما نعلمه مرضانا وأطفالنا وأفسنا، وما نطلبه من الدولة وللدولة من الحرص على التخطيط، بديلا عن اللجوء إلى الديون مهما بلغت التيسيرات.

ثم ينتهى الموال بأمر (وليس بحكمة كما وصلتنى) يقول:

إِعمل لنفسك "قانون" وى بطل إهمالك

كلمة "قانون" هنا تعنى نظاما ملزما أنت (فردا أو مؤسسة أو دولة) تعمله لنفسك بنفسك، وهذا ما نوصى به ليل نهار فى تأهيل مرضانا، فلا يوجد تأهيل إلا بتخطيط الوقت، ولا يوجد تخطيط للوقت إلا بالالتزام بالساعة، حتى أننى أوصى بعض الأهل فى حالات المرضى المسنين أن يحضروا لى كراسة بها توقيت الالتزامات التى أوصيتُ بها، وأحيانا تثبتت أماكن أدائها، حتى تتطبع فى دماغ المريض، فنقل فرص نسيانه أو توهانه.

إلى هذه الدرجة بلغ الوعى الشعبى درجة من الواقعية ترشدنا إلى ضرورة تصحيح علاقتنا بالوقت وبالمسئولية، فأين يا ترى ذهبت كل هذه البصيرة؟ وإلى متى تظل غائبة إلى هذه الدرجة؟!!

ثم أنتقل إلى مزيد محدود من بعض ملامح الزمن (والزمان) فى الوعى الشعبى:

أن مواصلة الاعتماد على الدعم الخارجى (كل ما اعطيك) وإفناقه فى الاستهلاك، وليس فى الانتاج هو المصيبة الكبرى التى لا ينبغي أن نعزوها إلى الوقت (الزمن - الزمان - الظروف - الضغوط) فى المقام الأول طول الوقت

ما نعلمه مرضانا وأطفالنا وأفسنا، وما نطلبه من الدولة وللدولة من الحرص على التخطيط، بديلا عن اللجوء إلى الديون مهما بلغت التيسيرات.

لا يوجد تأهيل إلا بتخطيط الوقت، ولا يوجد تخطيط للوقت إلا بالالتزام بالساعة.

1- الزمان يقَلْبُ وَيُعَايِرُ

هنا يحضر الزمان بمعنى القدر كما ذكرنا، وتقلّب الأحوال إلى الأسوأ أكثر تواترا في الحكى الشعبى من ضربات الحظ، لكن المثل هنا لا يكتفى بأن يتهم الزمان بأنه منقلب لا يؤتمن، لكنه يضيف إليه رذيلة المعاييرة، وكأن العتاب هنا يمتد إلى أن الزمان لا يرحم المكلوم المصاب مع أنه السبب فى مصيبتة وإنما يواصل قسوته بالمعاييرة.

أعتقد أن هذا المثل ينبه أن لوم الزمان واتهامه بأنه السبب فيما أصابنا ويصيبنا، وهذا اللوم لا يتضمن دعوة ولا أملا فى أن يصلح الدهر ما أفسده، فهو لن يعتذر، ولن يرجع عنها، بل سيشمت فينا ويعايرنا بها.

2- الشهر ثلاثين يوم والناس تعرف بعضها من زمان.

وصلتني هنا وظيفة شحذ الوعى بمرور الزمن، وفى الوقت نفسه التذكرة بأن الناس لبعضهم [3] على طول المدى، وليس فقط خلال أيام أو أسابيع أو حتى أشهر، فليتسع الوقت، ولنتحمل بعضنا بعضا أكثر فى رحاب الزمان، وأن الوعى بمرور أيام الشهر يوما بعد يوم يبلغنا أن الدنيا لم تنته لما أصابنا ما دام الناس لبعضهم البعض من قديم الزمان!.

3- من وقر شيء قال له الزمان هاته.

4- يا مستكتر الزمان أكثر.

5- المتغلى بالأيام عريان

المثلان الأول والثانى، وإلى درجة أقل المثل الثالث، فيها تنبيهه ألا نعتمد كثيرا - أو فقط - على الأمان المادى، مع أهميته القصوى طبعاً، لأن هذا الأمان وحده معرض وبشدة لتقلبات الزمان، وخصوصا إذا واصل المجتمع استغراقه فى الفردية والتحوصل حول الذات بديلا عن مسيرة الوعى الجمعى تكافلا حقيقيا.

6- اللى فات مات واحنا ولاد دلوقتى

(6): مين فاضى ينبش فى الماضى

يحضرني طبعاً ما نقوم به فى العلاج الجمعى وهو ما نكرر التأكيد عليه وهو الإلتزام بقاعدة "أنا=>أنت" "هنا ودلوقتى" وهى القاعدة التى وردت مئات المرات فى هذه النشرات المتفرقة: بالذات عند تقديم معظم الحالات سواء فى باب "الإشراف عن بعد" أو "ألعاب العلاج الجمعى" أو "العلاج الجمعى عموماً"، ولعل آخرها أو أوضحها الحالة التى تقدم منذ أسابيع "محمد طربقها" "رحلة التفكيك والتخليق": (نشرة 2-11-2015)، (نشرة 3-11-2015)، (نشرة 9-11-2015)، (نشرة 10-11-2015).

7- كل وقت وله أدان

المتابع لمعظم الحالات التى عرضت فى باب "الإشراف عن بعد" فى هذه النشرات سوف يكتشف أن من أهم القواعد التى يوصى بها المشرف المعالجين المتدربين هو أن العلاج النفسى يرتكز على عمودين أساسيين هما: "الوقت والتوقيت"، وهذا المثل يدعم التوصية "بحسن" التوقيت تماماً، أى: متى نفعل، ومتى لا نفعل؟ متى نقول، ومتى نصمت...الخ.

8- دور مع الزمان يدور معاك

9- ان كتر عليك الشغل فرقته على الأيام

هذان المثلان بهما توصية غير مباشرة على معاملة الزمن (والزمان) بمرونة وواقعية، الأمر الذى يشير إلى أن الوعى الشعبى يعترف بالتغيير مبدأ جوهريا فى مسيرة الحياة، وما دام الأمر كذلك فهذا يدعم قبول التغيير المستمر على مسار نمو الفرد من البداية للنهاية أمرا طبيعيا ولازما، ولا يمكن

أن الناس لبعضهم [3] على طول المدى، وليس فقط خلال أيام أو أسابيع أو حتى أشهر، فليتسع الوقت، ولنتحمل بعضنا بعضا أكثر فى رحاب الزمان

أن الوعى بمرور أيام الشهر يوما بعد يوم يبلغنا أن الدنيا لم تنته لما أصابنا ما دام الناس لبعضهم البعض من قديم الزمان!

ما نقوم به فى العلاج الجمعى وهو ما نكرر التأكيد عليه وهو الإلتزام بقاعدة "أنا=>أنت" "هنا ودلوقتى"

أن يسير التغيير في النمو أو التطور أو الإبداع إلا وهو يواكب التغيير الذي يجرى في الزمن داخلنا وخارجنا.

10- الله يلعنك يا زمان يا للى خليت للنذل كلام

وجبت اللى ورا قدام، وخليت السَّيِّدُ خدام

(10) الله يلعنك يا زمن وانت بقيت بأهمّ، والكلب لماّ حكم قال له الأسد يا عم

هذان المثلان يمكن أن يستعملا في موقفين عكس بعضهما البعض كما يلي:

الموقف الأول: موقف الحاقّد على الناجح أو المسئول أو الرئيس، الذى لم يَنَلْ وهو يتصور أنه أحقّ بما ناله، وأقدر عليه، (وبالذات الحظ في المناصب والسلطة) وبالتالي هو يطلق هذا المثل تحقيرا لمن تولى المنصب بديلا عنه، وغيظا وحقدا وحسدا معا.

الموقف الثانى: حين يلى السلطة غير أهلها ممن يخونون أمانتها، فيستبعدون من هم أبعد عنهم حتى لو كانوا أصحاب خبرات أو مواهب أو قدرات يمكن الإفادة منها، وهنا تثار نائرة الناس عامة، والطموحين خاصة، ممن يستشعرون التخبط، بل وحتى من المشاهدين خارج الملعب!!، فيلعنون الزمان الذى فسد حتى أولى هؤلاء الأفسال السلطة.

وفى نفس المعنى يقول الموال:

يادى الزمان الردى يادى الزمان الحرّ

إتبدل فيك الحال واتباع الصّدْف بالدرّ

والكلب عض الاسد وخليّ دمعته يخرّ

واعتز الخسيس الردى، وانهان العزيز الحرّ

وبعد

إن كانت هذه هي ثقافتنا، وهذه هي علاقتنا بالوقت والزمن، والزمان من عمق أحشاء ثقافتنا فكيف بالله عليكم نحكم على علاقة مرضانا بالزمن والوقت، واضطراب كل منهما، دون أن نلم بها بالقدر الكافى؟ طبعا لا بد أن نحكم، ونشخص، وأن نحدد ما هو الاضطراب وما هو السواء، لكن علينا أن نغوص في ثقافتنا حتى لا نستورد قيما وأحكاما غريبة عنا، ونمضى في الترجمة والعدّ ولصق اللافتات! لو سمحتم

[1]- قوله "أنا مالى" هنا تفيد "أنا أملاً" (جيبك) وهى غير أنا مالى الأولى التى تعنى "ليس من

شأني" أن أتحمّل مسئوليتك نيابة عنك، وإن كان هذا التمييز ليس ضروريا دائما.

[2]- قوله "أنا مالى" هنا تفيد "أنا أملاً" (جيبك) وهى غير أنا مالى الأولى التى تعنى "ليس من

شأني" أن أتحمّل مسئوليتك نيابة عنك، وإن كان هذا التمييز ليس ضروريا دائما.

[3]- "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا"

*** **



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

المتابع لمعظم الحالات التى عرضت فى باب "الإشرافة من بعد" فى هذه النشرات سوف يكتشف أن من أهم القواعد التى يوصى بها المشرفون المعالجين المتدربين هو أن العلاج النفسى يركّز على عمودين أساسيين هما: "الوقت والتوقيت"

التوصية "بحسن" التوقيت تماما، أى: متى نفعل، ومتى لا نفعل؟ متى نقول، ومتى نصمت... الخ.

لا يمكن أن يسير التغيير فى النمو أو التطور أو الإبداع إلا وهو يواكب التغيير الذى يجرى فى الزمن داخلنا وخارجنا